جدليَة الأدلَة، و مقتضيات الاستلزام الحواري في مناظرة السّيرافي لـ: يونس بن متّى.

The dialectic of evidences, and the exigencies of the Conversational implicature of EL-SeraFi and Younis Ben Matta debate's

راضية مالك*

رشيد ليم♣

تاريخ الإرسال: 2021/01/18	تاريخ القبول: 2021/05/20	تاريخ النشر: 2021/12/20

الملخص:

تعتبر المناظرة من أكثر الخطابات رسوخا في الفكر اللغوي العربي، و شاهدا على الرقي المعرفي الذي بلغه العقل العربي، و مناظرة السّيرافي ليونس بن متى صورة خطابية مميّزة تحتاج إلى تفعيل إجراءات الحدث التداولي في جوانب متعددة، يسّرنا مقتضيات الاستلزام الحواري و آلياته في مقاربة هذا العمل الجدلي بما وفره المتحاوران من أدوات البرهان، وفيما حشده كل واحد منهما من أدوات الإقناع في الانتصار لمذهبه..

تقرأ مقالتي مسالك الاستلزام الحواري التي عوّل عليها المتناظرين في نصرة كلّ واحد منهما توردِه الثقافي، بغية تبيين مقوّمات النص العلمي الجدلي في التراث اللغوي العربي و مقوماته الحجاجية.

الكلمات المفتاحية: المناظرة، الأدلة، الإقناع، الجدل، الاستلزام الحواري.

Abstract:

The debate of El.Sirafi and Younis Ben-Matta is one of the most well-established discourses in Arabic linguistic thought. We hired to the requirements of Conversational implicature and its mechanisms in

المؤلف المرسل: راضية مالك malekradia7@gmail.com

* مخبر التراث و الدراسات اللسانية/ جامعة الشاذلي بن جديد malekradia7@gmail.com

♣ مخبر التراث و الدراسات اللسانية/ جامعة الشاذلي بن جديد Halimrachid@yahoo.fr

approaching this controversial work with the tools of provided by the two interlocutors for prove its point.

This article read the Conversational implicature ways that the debaters used in supporting each of them its cultural orientation, in order to show the elements of the controversial scientific text in the Arabic linguistic heritage and its arguments components.

***Key words**: Debate, persuasion, evidence, argument, Conversational implicature.*

مقدمة:

حفل المنجز اللغوي العربي التراثي بمناظرات علمية، خلدت الرقي المعرفي الذي بلغه العقل العربي بفضل مؤثرات الثقافة العربية الأصيلة وإنتاجات المعارف الوافدة من بيئات أخرى، فولد هذا الإخصاب ثمرات علمية، نقلها الكتاب في مدوناتهم، وأشادوا بمنزلتها.

و كانت مناظرة السيرافي أكبر من كونها حوارا بين عالمين ضالعين في النحو والمنطق ،بل كانت مقارعة بين حضارتين عظيمتين، تسلح كلا الطرفين بأدواتهم المعرفية للدفاع عن أفكارهما وأرائهما في قالب حواري حجاجي ممتع، أفاد الحاضرين و الغائبين . لترجح كفة المناظرة لصالح السيرافي بما أتاه الله من الفصاحة و البلاغة ما أمكنه أن يبهر الألباب و يأخذ العقول.

هذا الخطاب العلمي الثري بأدوات الاستدلال، فتح لسان مدادي على قراءة تداولية، يفعل فيها الاستلزام الحواري خطواته في مقاربة حجاجية لهذه المناظرة التي كان موضوعها سلطة النحو ومنزلته في مواجهة سلطة المنطق و مرتبته.، فكان موضوع هذه المقالة : جدلية الأدلة، و مقتضيات الاستلزام الحواري في مناظرة السيرافي ليونس بن متى.

وقد تطلب هذا الغرض دراسة ثلاثة عناصر:

1. مفهوم الاستلزام الحواري (Conversational implicature)

يعتبر الاستلزام الحواري أحد مشارب التداولية، نظر لها الفيلسوف اللغوي بول**غرايس P.Grice** (1813-1988) من خلال مؤلفه المنطق و المحادثة (**Logic and conversation**). و كان يروم من هذه النظرية البحث عن القواعد الضمنية للتأويل

الدلالي أثناء عملية التحاور، و التي بدونها يقع خلل في عملية التواصل، و لا تتحقق الغاية المرجوة من الحوار .

و بذلك يحدد الاستلزام الحواري بأنه " عملية الانتقال من المعنى الحرفي العباري إلى المعنى الحرفي السياقي، و أن يفترض المتكلم أن المتلقي قادر على استنتاج هذا المعنى غير الحرفي ، وذلك انطلاقا من المعارف المشتركة بينهما ."[1]

و لإثبات هذه النظرية، وضع غرايس مبدأ عاما وسمه ب : **مبدأ التعاون**، ينص على تعاون المتحاورين في تحقيق الغاية المنشودة من الحوار. بمعنى "أنه يوجب أن يتعاون المتكلم و المخاطب على تحقيق الهدف من الحوار الذي دخلا فيه، و قد يكون هذا الهدف محددا قبل دخولهما في الكلام، أو يحصل تحديده أثناء هذا الكلام[2]. و يتفرع هذا المبدأ إلى أربع مسلمات حوارية، هي:

- **قاعدة الكم (Maxim of quantity):**

و تتفرع إلى مقولتين هما:

- لتكن إفادتك للمخاطب على قدر حاجته.
- لا تجعل إفادتك تتجاوز حد المطلوب.

- **قاعدة الكيف (Maxim of quality**):و قد تم تفريعها إلى:

– لا تقل ما تعلم خطأه .

– لا تجعل إفادتك تتجاوز الحد المطلوب.

– **قاعدة العلاقة أو الملاءمة(Maxim of relevance**) و يقصد بها مراعاة علاقة المقام بالمقال، أي لتكن مشاركتك ملائمة و مناسبة للموضوع المطروح.

– **قاعدة الجهة أو الأسلوب(Maxim of mannar**) و هي متعلقة بالمعنى الضمني ، و تتفرع إلى :

أ- لتحترز من الالتباس . ب- لتتكلم بإيجاز.

ج- لتحترز من الإجمال . د- لترتب كلامك

و الاستلزام الحواري لا يتولد إلا إذا انتهك أحد قواعد **مبدأ التعاون**، و هنا يجب على المخاطب اليقظ إدراك ذلك، و يسعى إلى معرفة و غاية المتكلم من هذا الانتهاك. لذلك يشترط غرايس لتحقيق الاستلزام أن يأخذ المتكلم بعين الاعتبار المعطيات الآتية:[3]

* المعنى الحرفي للكلمات المستعملة ، و تعريف العبارات الحالية.
* مبدأ التعاون و القواعد المتفرعة عنه.
* السياقات اللغوية و غير اللغوية للخطاب.
* عناصر أخرى تتصل بالخلفية المعرفية.
* يجب على المساهمين في الحوار أن يكونوا على علم بالمعطيات الآنفة الذكر، و أن يصدر أثناء عملية التحاور عن افترا ض هذه المعطيات

و بالرغم من إسهامات مبدأ التعاون الايجابية في تطوير سير الدراسات التداولية إلا أنها تعرضت للنقد لاقتصارها على الجانب التبليغي دون جوانب أخرى. مما ظهرت مبادىء لدارسين آخرين لسد الخلل و النقص الذي شهده مبدأ غرايس. و من هذه المبادىء:[4]

***مبدأ التأدب(التهذيب) لروبين لايكوف Robin.Lakoff**: و فحواه لتكن مؤدبا، و يتفرع إلى ثلاث قواعد: قاعدة التعفف- قاعدة التشكيك - قاعدة التودد.

*** مبدأ التواجه لبراون (Brown.P)و ليفنسن (Levenson.S)** : فحواه لتصن وجه غيرك ، و يقوم هذا المبدأ على مفهومين أساسيين هما مفهوم الوجه و مفهوم التهديد.

***مبدأ التأدب الاقصى لجوفري ليشLeech.G**: تمت صياغته بصورتين:

- صورة سلبية: قلل من الكلام غير المؤدب. - صورة ايجابية: أكثر من الكلام المؤدب.

2. المنـاظرة:

ورد في لسان العرب: المناظرة أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه كيف تأتيانه....ناظرت فلانا أي صرت له نظيرا في المخاطبة.[5] و يعرفها الشريف الجرجاني بأنها:" النظر بالبصيرة من الجانبين في التسمية بين الشيئين إظهارا للصواب."[6]

و يحددها طه عبد الرحمن بوصفها خطابا و حوارا يتواجه في العارض و المعترض للنظر في مسألة من المسائل قصد إظهار الصواب فيها.[7]

فالمناظرة حدث لغوي، و ثقافي، و اجتماعي، و حضاري، يتفاعل فيها مختلف الذوات. و بذلك ساهمت في تكريس ثقافة الآخر لجمعها بين خطابين متباينين. إذ يستعين كل طرف بما أتيح له من أقطار الكلام و أساليب البيان ليبين سداد رأيه و سلامة موقفه، و فساد حجة خصمه للوصول إلى الحقيقة.

1.2 التشكيل التداولي للمناظرة:

تروم المناظرة إلى التأثير في المتلقي قصد تغيير معتقداته إزاء المسألة المتناقش فيها، و تغيير ردة فعله سواء من الحياد الى الانحياز أو من المعارضة إلى المناصرة ، مستندة في ذلك على آليات لا غنى لها عنها، أهمها:

1.1.2 الحوار: الحوار عتبة الولوج إلى عالم الخطاب التواصلي لذلك سنت له قوانين و أسس تضبطه و تحقق غاياته، فدعت أهميته بول غرايس إلى الاهتمام به و جعله محور نظريته. إذ هو " كلام مفيد بين اثنين، لكل منهما مقامان هما مقام المتكلم ومقام المستمع، و لكل مقام وظيفتان هما وظيفة المعتقد و وظيفة المنتقد، حيث إذا كان المتكلم معتقدا كان المستمع منتقدا."[8]

و بما أن الحوار مواجهة و احتكاك و تجاوب إلا أنه يضمن الحرية المطلقة للطرف الآخر في عرضه وجهة نظره و معتقداته لأن غايته الوقوف عند الحقيقة عن طريق مسح الضبابية عن المسائل المختلف فيها، إذ أنه " يسهم في توسيع العقل و تعميق مداركه، لأن الحوار هو بمنزلة نظر من جانبين اثنين و ليس النظر من جانب واحد كالنظر من جانبين."[9]

لذلك كان الحوار حجر الزاوية في المناظرة، و عليه يتوقف نجاحها من إخفاقها، حتى أن طه عبد الرحمن اعتبر المناظرة صنف من أصناف الحوار، يقول في ذلك:" إن الحوار أصناف مختلفة، فمنه المجادلة و المناقشة و المناظرة و المباحثة."[10]

2.1.2 الحجاج: يعرف الحجاج من المنظور اللغوي بأنه " أمر يقتضي من المتناظرين وصف الحجة، و رفد البيان بالبرهان قصد إقناع المتلقي... و قيل الحجة : ما دافع به الخصم...و هي الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، و حجه بحجة حجا، أي ، غلبه على حجته".[11]

أما في معجم تحليل الخطاب ، فينظر اليه من منظور حوار عقلي على أنه " نشاط لغوي واجتماعي غايته دعم أو إضعاف مقبولية وجهة نظر متنازع فيها لدى مستمع أو قارئ.. و ذلك بعرض كوكبة من القضايا قصد تبرير أو دحض هذه الوجهة."[12]

ليحدده طه عبد الرحمن من منظور تداولي بأنه " فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي و اجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف

مشتركة و مطالب إخبارية و توجهات ظرفية، و يهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية، إنشاء موجها بقدر الحاجة، و هو أيضا جدلي لأن هدفه اقناعي قائم بلوغه عن التزام صور استدلالية أوسع و أغنى من البنيات البرهانية الضيقة."[13]

و تتفق هذه التعريفات على أن الحجاج أسلوب تواصلي و عمل لغوي، يجمع بين طرفين أو أكثر يلزم الحجج و البراهين قصد التأثير في الطرف الآخر، لترجح كفة الميزان عند الطرف الأكثر إقناعا و برهانا . و ما يجب أن نحيل إليه أنه " لا يمكن أن يوجد حجاج إلا بوجود خلاف حول موقف، أي مواجهة خطاب بخطاب معاكس." [14]

فالعلاقة بين المناظرة و الحجاج علاقة استلزامية منطقية، حتى نكاد أن نجزم أن كل مناظرة هي حجاج بالضرورة .

3.1.2 السؤال: ورد في معجم تاج العروس، سألته الشيء بمعنى استعطيته إياه، و سألته عن الشيء، استخبرته. السؤال استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة و استدعاء المعرفة جوابه على اللسان و اليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة.[15]

فالسؤال آلة حجاجية يستغلها المتناظرون أثناء واقعتهم التواصلية (المناظرة). فاستحضار الأطراف السؤال ليس غايته طلب شيء غير حاصل وقت الطلب، أو استدعاء معرفة معينة ، بل كان طرح السؤال بنية المحاججة، التي تريد تبكيت الآخر . فالسؤال يخرج في المناظرة من معناه الأصلي الى معان فرعية كالتعجيز، و التقرير، و الاستفسار.

4.1.2 القصد: يعتبر القصد من الخصائص الأساسية للخطاب فهو المحرك و الدافع له، فكل حوار يتطلب استحضار المقاصد حتى يقوم تعاون بين المتحاورين و يفهم كل منهما الآخر. لذلك كان محل اهتمام غرايس فاعتبره مركبا عمد إلى تفريعه إلى مقاصد متداخلة حددها في :[16]

* القصد الأول: قصد المتكلم إبلاغ المخاطب محتوى دلاليا معينا.

* القصد الثاني: قصده أن يتعرف المخاطب على القصد الأول.

* القصد الثالث: قصده أن يبلغ المخاطب القصد الأول، يتحقق بتعرف المخاطب على القصد الثاني.

3. مقتضيات الاستلزام الحواري في المناظرة:

ينطلق مبدأ التعاون من وجود تفاهم بين المتكلم و المتلقي حول قدر معين من المعلومات و المعطيات و المفاهيم دون اللجوء الى الإبهام و الالتباس حتى يتحقق الإبلاغ والإفهام. و قد ضرب لنا السيرافي أمثلة عن الاستلزام الحواري في البحث عن معاني كلام متى الضمنية و أوردها صراحة، من ذلك قوله: "و أنت إذا قلت لإنسان كن منطقيا، فإنما تريد: كن عقليا أو عاقلا أو اعقل.. و إذا قال لك آخر : كن نحويا لغويا فصيحا، فإنما يريد : افهم عن نفسك ما تقول ثم رم أن يفهم عنك غيرك،"[17] و نحن نقر بحضور هذا المبدأ في المناظرة ، إلا اننا وجدنا خروج عدة عبارات عن معناها الحرفي ، أي اختراق مبدأ غرايس مما أدت الى ظهور استلزامات مقامية. سنحاول إلقاء الضوء عليها ما يسمح به مقام البحث.

1.3 مبدأ الكم:

يلتزم المتكلم أثناء الافصاح عن مقاصده بكلمات محددة لأن أي زيادة أو نقصان ستضفي دلالة جديدة على الكلام وإلا ستغير مساره. فالتزم (متى)بهذا المبدأ، حيث اعتمد الإيجاز و الرد على قدر السؤال. و من ذلك جوابه على سؤال السيرافي:" حدثني عن المنطق ما تعني به؟" قال متى: "أعني أنه آلة من آلات الكلام، يعرف به صحيح الكلام من سقيمه، و فاسد المعنى من صالحه، كالميزان، فإني أعرف به الرجحان من النقصان، و الشائل من الجانح."[18] في حين خرق السيرافي المسلمة الحوارية باسترساله في الرد على متى معارضا له.

"قال ابو سعيد: ما تقول في رجل يقول: لهذا علي درهم غير قيراط، و لهذا الآخر علي درهم غير قيراط؟ قال متى: مالي علم بهذا النم ." ؛ فمتى اعترف بجهله و عدم معرفته بهذا النم غير أن السيرافي أصر أن يبين عدم إحاطته بعلوم اللغة. قال السيرافي: لست نازعا عنك حتى يصح عند الحاضرين أنك صاحب مخرقة و زرق.....قال رجل لصاحبه: بكم الثوبان المصبوغان؟ و قال آخر: بكم ثوبان مصبوغان و قال آخر: بكم ثوبين مصبوغين. بين هذه المعاني التي تضمنها لفظ لفظ."[19]

فبالرغم من اعتراف متى قبل هذه المسائل بجهله بالنحو قائلا: "فهذا نحو، و النحو لم أنظر فيه." إلا أن السيرافي أعاد عرض عليه مسائل نحوية أخرى و طالبه بالرد عليها، مثل حكم حرف الواو، و مواقعه. "فالإفراط في المعلومات قد يكون مضللا لأنه قد يثير مسألة

هامشية و قد يؤثر هذا الإفراط تأثيرا غير مباشر، إذ قد يضلل المخاطبين لظنهم أنه يكمن غرض محدود وراء هذا الإفراط في المعلومات."[20]

و كأن السيرافي لم تعد غاياته إفحام متى و رد عليه أقواله، و إنما استعراض فحولته في النحو أمام ابن الفرات و مجلسه.

كما تجاوزت إفادة السيرافي الحد المطلوب في الرد ؛ حيث أصبح يسأل و يؤول و يستنتج رد متى بنفسه، و من ذلك قوله: "حدثنا هل فصلتم ق بالمنطق بين مختلفين...؟ هيهات ، هاهنا أمور ترتفع عن دعوى أصحابك و هذيانهم، و تدق عن عقولهم و أذهانهم."[21]

و كذلك قوله:"فإن قلت كيف أحكم بين اثنين أحدهما قد سمعت مقالته، و الآخر لم أحصل اعتراضه؟ قيل لك: استخرج بنظرك الاعتراض إن كان ما قاله محملا ..."[22]

"فكأنك تقول : لا حجة إلا عقول يونان، و لا برهان إلا ما وضعوه، و لا حقيقة إلا ما أبرزوه...."[23]

و مما يجدر الاشارة إليه، أنه أحصينا اثنين و ثلاثين سؤالا للسيرافي مقابل سؤال واحد، و اثنا عشرة ردا لمتى. و هذا يفسر لنا تحكم السيرافي في المناظرة و تسييرها.

2.3 مبدأ الكيف:

الأصل في الكلام الاعتقاد بصحته و صدقه وإلا لن يكون له أي تأثير على المتلقي، و هذا ما وقع فيه متى حينما اعتبر المعنى أشرف من اللفظ دون أن يسوق أي دليل أو برهان على كلامه. فقال[24]: "و النحو لم انظر فيه، لأنه لا حاجة بالمنطقي إليه، و بالنحوي حاجة شديدة إلى المنطق، لأن المنطق يبحث عن المعنى، و النحو يبحث عن اللفظ، فإن مر المنطقي باللفظ فبالعرض، و إن عثر النحوي بالمعنى فبالعرض و المعنى أشرف من اللفظ، و اللفظ أوضع من المعنى." فخطأه معترضه قائلا: أخطأت ، لأن الكلام و النطق و اللغة و الإفصاح و الإعراب و الإبانة و الحديث و الإخبار و الاستخبار و العرض و التمني و النهي و الحض و الدعاء و النداء و الطلب كلها من واد واحد بالمشاكلة و المماثلة."

و في الموضع نفسه يقول متى:" يكفيني من لغتكم هذا الاسم و الفعل و الحرف، فإني أتبلغ بهذا القدر إلى أغراض قد هذبتها لي يونان." فيرد عليه السيرافي قوله مرة اخرى بقوله: أخطأت، لأنك في هذا الاسم و الفعل و الحرف فقير إلى وصفها و بنائها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها ....."[25]

وكما قلنا سابقا أن الأصل أن يأتي المتكلم بكلام يعتقد صحته غير أنه هناك بعض الأساليب تجمع بين الصدق في مضمونها و الكذب في تركيبها، و المقصود هو باطنها لا ظاهرها معتمدة في ذلك على المقام و السياق الذي أجريت فيه ، ومن ذلك الاستعارة التي يذكر فيها اللفظ الحقيقي و يراد معناها المجازي. و هذا ما يؤكد عليه ابن جني في قوله: " و سبب تمكن هذه الفروع عندي أنها في حال استعمالها على فرعيتها تأتي مأتي الأصل الحقيقي لا الفرع التشبيهي، و ذلك قولهم: (أنت الأسد، و كفك البحر)، فهذا لفظه لفظ الحقيقة و معناه المجاز و الاتساع. ألا ترى أنه إنما يريد: (أنت كالأسد، و كفك كالبحر)[26].

فاستخدام السيرافي للاستعارة لا يعني أن خطابه بعيد عن الحقيقة و إنما هناك دلالات لا تتضح إلا بالاستعارة التي تعرف بالإبداع في طريقة تأليف الألفاظ و تراكيبها، و ما تؤديه من صور جمالية و تقوية المعنى. " لذلك كانت الرؤية التداولية للاستعارة قوامها ربـ تأويل الاستعارة بمبادئ المحادثة و تحديدا مبادئ "جرايس" الأربعة، فيمكن النظر إليها على أنها نوع من استغلال مبدأ أو أكثر من هذه المبادئ الأربعة، و يفيد ربـ مبادئ جرايس بالاستعارة في جانبين:

أ- تساعد على تحديد التفسير الأنسب للاستعارة من بين التفسيرات الممكنة، إذ تساهم في إقصاء أي تفسير حرفي، و الإبقاء على التفسير الاستعاري

ب- تساعد على تحديد التفسير الأنسب للاستعارة من بين التفسيرات الممكنة، إذ يقوم القارئ أو المستمع في عملية الاتصال باختبار التفسير الأنسب للاستعارة استنادا للمبادئ."[27]

و منه تكمن فعاليتها في التناسب مع ما يقتضيه السياق.

و من ذلك قول السيرافي:" العلم بحارا، طلابه منارا. "[28] و يقصد به اتساع سعة العلم وقوله: "طبائع اللغات."[29] أي؛ أن كل لغة لها خصائص و مميزات تنفرد بها عن باقي اللغات، و هذا ما يريد أن يقنع به متى.

فالمعنى المرغوب هو المعنى الضمني لأن الانزياح من المعنى اللفظي الى المعنى الضمني يترك بصمة و تأثيرا في المخاطب لا يحققها المعنى الصريح. كما أن " غاية التواصل البشري هي أساس انتاج المعنى و تأويله، و أن جزء كبيرا من المعنى ضمني، و بمعنى أصح أن المعنى تأليف بين الصريح و الضمني، و بين الواعي و غير الواعي، و بين الفردي و الجماعي."[30]

3.3 قاعدة الملاءمة(المناسبة):

دارت رحى المناظرة بين النحو ممثلا بالسيرافي، و المنطق ممثلا له ب متى بن يونس، أي أن مناسبة المناظرة هي الصراع بين النحو و المنطق، و تحديدا بين اللفظ و المعنى -إن لم تكن أعمق من ذلك لنقول أنها صراعا بين اللغة العربية و اللغة اليونانية بل بين الحضارة اليونانية و الحضارة الاسلامية- فاتخذا كلاهما الحوار للدفاع كل منهما عن أفكاره و دحض معتقدات الآخر متسلحين بزادهما العلمي و المعرفي. محاولين الالتزام بوحدة الموضوع و الهدف، و هذا أهم عنصر في المناظرة لأنه إذا أردت تفاعل المخاطب مع كلامك فينبغي ألا تخرج عن موضوع الحوار " فلكي نفسر أن عمل تواصل ما يحظى باهتمام المخاطب و يفضي إلى أثر تأويلي نفترض أنه يشتمل على ضمان بأنه مناسب . و ذلك لأن تأويل قول ما ليس عملا مجانيا، و إنما هو عمل يكون جزاؤه بعض الآثار العرفانية."[31]، فبعد أن قبل السيرافي التصدي لمتى، دار الحوار حول مسائل حيوية متعلقة باللغة و علاقة النحو بالمنطق، و قضية اللفظ و المعنى، و اشكالية الترجمة، و منطق اللغة و اشكالية النقد....

استهلت المناظرة بتحديد المواضيع حتى يحدد الاطار الذي سيدور فيه الحوار، فضب ابن متى مفهوم المنطق بأنه " آلة من آلات الكلام يعرف بها صحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه."[32] و يقول أيضا: "لأن المنطق يبحث عن الأغراض المعقولة والمعاني المدركة، و تصفح للخواطر السنحة و السوائح الهاجسة."[33] و يقول: "لأن المنطق يبحث عن المعنى و النحو يبحث عن اللفظ، فإن مر المنطقي باللفظ فبالعرض، و إن عثر النحوي بالمعنى فبالعرض، و المعنى أشرف من اللفظ، و اللفظ أوضع من المعنى."[34]، ليحدد السيرافي بدوره موضوع قضيته قائلا: "لأن صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المألوف و الإعراب المعروف إذا كنا نتكلم بالعربية(النحو) .."[35]

و قوله: و النحو منطق و لكنه مسلوخ من العربية، و المنطق نحو و لكنه مفهوم باللغة.[36]

و حاول السيرافي أن يتقيد بموضوع المناظرة ..و ذلك في قوله: ..و هذا باب إن استقصيته خرج عن نم ما نحن عليه في هذا المجلس..[37] غير أنه بأمر من ابن الفرات انعرج قليلا عن مسار هذا النم حينما سرد معاني حرف الواو.

4.3 قاعدة الجهة (الأسلوب):

من شروط نجاح العملية التواصلية اللغوية أن يأمن أسلوب المتكلم اللبس و الغموض، حتى تصل الرسالة إلى ذهن المتلقي واضحة و سلسة و لا يحجزها الإبهام عن إيصال المعنى المقصود. غير أنه لمسنا في الحوار الذي جمع بين صاحب المنطق و صاحب النحو عبارات و مدلولات اعتمد فيها على التلميح دون التصريح، نحو قول السيرافي: "إنما بودكم أن تشغلوا جاهلا، و تستذلوا عزيزا."[38] ففي هذا القول إجمال دون تفصيل مما يترك للقارئ باب التأويلات مفتوحا. و كذلك في قوله: ليس هذا مكان التدريس هو مجلس إزالة التلبيس، مع من عادته التمويه و التشبيه.

لكن الملاحظ في هذه المناظرة طغيان المعنى الضمني على أسلوبها بشقيه الخبري و الانشائي، أي خروجه من المعنى الحرفي إلى معان استلزامية متعددة.

1.4.3 الأسلوب الخبري:

يروم قائل الخبر إفادة المخاطب بالحكم الذي يتضمنه الكلام و يطلق عليه " فائدة الخبر" أو إفادة المتلقي أن المتكلم عالم بذلك الخبر، و يسمى " لازم الفائدة"، غير أنه يخرج عن هذه المقاصد ليحقق أغراضا بلاغية تداولية تتباين بتباين مقامات ورودها كالثناء، و المدح، و التعظيم....

- **التحقير**: قول السيرافي عن الكندي: "و هو مريض العقل، فاسد المزاج حائل الغريزة مشوش اللب[39] .." و قوله أيضا:" حتى يصح عند الحاضرين ، أنك صاحب مخرقة و زرق"[40]، أي، تحقير للمنطق، و الحـ ـ من قيمته بين مصاف العلوم..

- **الفخر و الاعتزاز:** "و هذا الناشئ أبو العباس قد نقض عليكم و تتبع طريقتكم، و بين خطاكم، و أبرز ضعفكم.."[41]

- **الدعاء**: قول السيرافي:" نسأل الله عصمة و توفيقا نهتدي بها إلى القول الراجح إلى التحصيل."[42]

- **النصح و الارشاد:** " لو فرغت بالك و صرفت عنايتك إلى معرفة هذه اللغة التي تحاورنا بها، و تجارينا فيها...لعلمت أنك غني عن معاني يونان، كما أنك غني عن لغة يونان." [43]

2.4.3 الأسلوب الانشائي:

تنزاح الأساليب الانشائية عن دلالتها الأصلية عندما يمتنع اجراؤها على أصلها إلى معان و أغراض مختلفة يحددها سياق الخطاب . أي أنها تحمل قوة إنجازية حرفية (فعل كلامي

مباشر) و قوة إنجازية مستلزمة متولدة من المعنى (فعل كلامي غير مباشر)، و من الأساليب التي وردت في المناظرة:

1.2.4.3 الاستفهام: طغى أسلوب الاستفهام على المناظرة لتفعيل الحوار باعتباره أداة تعزز آليات التواصل بين الناس، ولذا فإنها تستغل في إفادة المتلقي . لذلك كان محل اهتمام غرايس كونه أفضل نموذج يتضح فيه مدى تأثير السياقات التي يرد فيها. و المعنى الأصلي للاستفهام " طلب العلم بشيء لم يكن معلوما-من قبل، أما إذا استفهم به عن الشيء مع العلم به، كان الاستفهام مقاميا يفهم من سياق الكلام بواسطة قرائن الأحوال، و في الاستفهام المقامي لا يريد المتكلم لنفسه و إنما يريد به تفهيم المخاطب."[44]

و يقصد بالاستفهام المقامي المعنى الضمني أو القوة الإنجازية المستلزمة. و الملاحظ في هذه المناظرة أن عددا من الأسئلة التي طرحت لم تكن غايتها الاستخبار، بل كانت تندرج ضمن السؤال الحجاجي الذي يهدف إلى إفحام الطرف الآخر، و إقامة الحجة عليه . مما ينجر عن ذلك تعجيز الخصم و التشويش على تواصله مع الأطراف الاخرى. و لنضرب أمثلة عن ذلك:

-**التقرير**: أي أن المرسل يدرك الإجابة يقينا لكنه استعمل الاستفهام بهدف إثباتها، و ذلك أن المستفهم عن الأمر قد يكون عارفا به مع استفهامه في الظاهر عنه، لكن غرضه استدراج المرسل إلى الحوار. و هذا ما كان من السيرافي لاستئناف المناظرة و حث الطرف الآخر على الخوض في هذا الحوار، و ذلك في قول: "حدثني عن المنطق ما تعني به؟"

فهذا السؤال تضمن ما يلي:

- **فعل كلامي مباشر**: و هي دلالة الجملة الحرفية التي نتجت عن الصيغة الحرفية للتركيب ، أي جملة + أداة استفهام=جملة استفهامية؛ مفادها السؤال عن معنى المنطق.

-**فعل كلامي غير مباشر: و تضمن**؛

1- قوة استلزامية متولدة عن المعنى الضمني؛ و هو التقرير.

2- قوة استلزامية متولدة عن معنى المعنى؛ و هو الدعوة للمناظرة.

و في سؤاله : ما تقول في معان متحولة بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانية؟ هنا يحمل قوة استلزامية متولدة عن معنى المعنى؛ ألا وهي التشكيك في المعاني المترجمة.

الإنكار: قول السيرافي: فكيف صرت تدعونا إلى لغة لا تفي بها؟ [45] حين يلقى الكلام بصيغة الاستفهام الإنكاري، فكأن السائل يحاول إرباك المتلقي حتى يوقع في قلبه الشك و التناقض فيتراجع عن أفكاره.

2.2.4.3 الأمر:

للأمر استعمالان؛ أحدهما أصلي و الآخر فرعي كالدعاء و الالتماس...و هذا ما يؤكد عليه شارح المفصل بقوله: "اعلم أن الأمر طلب بصيغة مخصوصة، و له و لصيغته أسماء بحسب اضافاته، فإن كان من الأعلى إلى من دونه، قيل له أمر، و إن كان من النظير إلى النظير، قيل له طلب، و إن كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له دعاء..."[46]

و أما من منظور التداولية، فهو "فعل كلامي من فئة التوجيهات(directives)حسب تصنيف سورل لأفعال الكلام يحمل قوة إنجازية تحددها إرادة المتكلم و قصده، و هي إرادة متعلقة بطلب إيقاع الشيء المأمور به."[47] فالغاية من الأمر إحداث تأثير في المتلقي إما بتحقيق الطلب على وجه اللزوم أو ترك بصمته في نفسية ذلك المتلقي. و ذلك بما يحمله من معاني ضمنية يتولى السياق الكشف عنها، و من هذه المعاني:

التعجيز: قال ابن الفرات: سله يا أبا سعيد عن مسألة أخرى..."[48]

أبكت أبا سعيد صاحب المنطق في عدة مسائل إلا أن الوزير أصر على مواصلة المناظرة بغية إفحام حججه و يتأكد للحاضرين غلبته .

و من ذلك أيضا، قوله: بين هذه المعاني التي تضمنها لفظ لفظ."[49] لأن متى يبحث في المعاني و بالرغم من ذلك لم يرد على سؤاله.

التحقير: "هيهات، ها هنا أمور ترتفع عن دعوى أصحابك و هذيانهم...."[50]، لأنه لا يستطع الفصل بالمنطق بين مختلفين، أو يرفع الخلاف بين اثنين.

الاستفسار و التعليم: في قول متى: بين لي هذا التهجين."[51] لأنه أفتى في مسألتين على غير بصيرة و لا استبانة، فطلب من السيرافي أن يفسر له ذلك.

3.2.4.3 النداء:

أصل معنى النداء طلب إقبال المدعو على الداعي إلا أنه قد يخرج إلى معان فرعية مستلزمة يحددها السياق الواردة فيه. و أسلوب النداء هو تعبير توجيهي لأنه يحفز المرسل إليه لرد فعل تجاه المرسل، و هو من المنظور البلاغي من الإنشاء الطلبي، أما من

منظور التداولية، فهو من الأفعال الكلامية شأنه شأن الأفعال اللغوية الأخرى فهو يشكل القوة الإنجازية للجملة[52]. غير أنه في هذه المناظرة كان شبه غائب فلم يرد فيها إلا ما يعد على الأصابع. من ذلك:

الفخر والاعتزاز: و يبدو هذا المعنى جليا و واضحا في قول ابن الفرات : أيها الشيخ الموفق.." باعتبار النداء من الأعلى مرتبة إلى أدنى مرتبة لأنه تغلب على متى في أغلب المسائل المطروحة، هذه جملة من المعاني المستلزمة التي خرج اليها أسلوب المناظرة.

4. خاتمة:

لا شك في أن تراثنا اللساني ثري، مكن كثير من الدارسين من تفعيل بعض الآليات المعرفية الحديثة في كثير من موضوعاته و أغراضه. و لعل تطويع بعض الخطابات العربية المميزة للحدث التداولي يعتبرا عملا علميا يستحق المتابعة و التطوير. و هي نتيجة معرفية كبرى ، تنضوي تحتها محصلات أخرى حدث بها عملي هذا، و ارتأيت كشفها مرتبة:

-إن المناظرة التي دارت بين السيرافي و متى بن يونس هي حدث لساني كبير في التراث اللغوي العربي، و هي ليست مجادلة معرفية بين عالمين متميزين، بل تجاوز خطبها إلى صراع موضوعاتي ومنهجي بين فكرين يتخذ كل واحد منهما من العقل سلطانا لبلوغ مراميه.

-إن تلك المناظرة التي جرت في مجالس العلماء و القادة، إنما أبانت عن مستوى الترف الفكري الذي بلغته الحضارة العربية الاسلامية ،و أبانت عن النضج العلمي الذي بلغ مداه في تلك الحقبة.

- يسر تفعيل المنهج التداولي في بعض آلياته قراءة هذا الخطاب الجدلي ، وتبيين مطاوعته لهذا الإسقاط العلمي، و أن خطاب المناظرة هو خطاب حجاجي بامتياز.

-توفر المناظرة على معظم الآليات المنهجية التي عنيت بها المعرفة التداولية، من حوار، و حجاج ، و سياق...

-مكن تفعيل الاستلزام الحواري في هذه المناظرة من بيان أن القراءة التداولية لهذا الخطاب مهمة و مفيدة، وأن هذه المناظرة صالحة لقراءات أخرى ، نسعى إلى تنشيطها مثل دراسة الأفعال الكلامية في هذا الخطاب. .

5. الهوامش:

1العياشي ادواردي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، منشورات الاختلاف، ط1، ، 2011، ص18.

2 - المرجع نفسه، ص 97.

3 خديجة محفوظ محمد الشنقيطي، منحى التداولي في التراث اللغوي الأمر والاستفهام نموذجين، عالم الكتب الحديث، ، الأردن، 2016، ص186.

4 ينظر: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا(اطروحة دكتوراة)، ليلى كادة، اشراف أ.د. بلقاسم دفة، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب و اللغات، وكذلك الاستلزام الحواري في التداول اللساني العياشي أدراوي، ص 117-123.

5 ابن منظور، لسان العرب، مجلد الأول، دار صادر، بيروت، ص 217-219

6 الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية،ط2، بيروت، 2003، ص288.

7 طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000، ص85.

8 طه عبد الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، ط1، بيروت ، ص11

9 المرجع نفسه، ص8..

10 طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي،ط1، بيروت، 1998. ص200.

11 ابن منظور،لسان العرب، ص570.

12بارتيك شارودو- دومينيك منعنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري و حمادي صمود، المركز الوطني للترجمة، تونس، ص46

13طه عبد الرحمن، أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص65.

14 كريستيان بلانتان، الحجاج، ترجمة عبد القادر المهيري، المركز الوطني للترجمة، تونس،2010، ص39.

15الفيروزأبادي، تاج العروس، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت، ، 2007. ص250.

16 حسن الباهي، الحوار و منهجية التفكير النقدي، افريقيا الشرق، ط1، 2004، ص128.

17 أبو حيان التوحيدي، الامتاع و المؤانسة ، المكتبة العصرية، بيروت ، 2011،ص 98.

18 المرجع نفسه، ص90.

19 المرجع نفسه، ص97

20 مجموعة مؤلفين، اطلالة على النظريات اللسانية و الدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، المجمع التونسي للعلوم والآداب و الفنون، 2012، ص16

21 أبو حيان التوحيدي، الامتاع و المؤانسة، ص99.

22-المرجع نفسه، ص99.

23، المرجع نفسه، ص92.

24 المرجع نفسه، ص 93

25 المرجع نفسه، ص93

26 أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط5، القاهرة،، 2011، ص179

27 ليلى كاده، المكون التداولي في النظرية اللسانية، ص377.

28 أبو ليان التوحيدي، الامتاع و المؤانسة، ص 79

29المرجع نفسه، ص81.

30 باتريك شارودو- دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص111.

31جاك موشللر و آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الاساتذة بإشراف عز الدين مجدوب، مراجعة خالد ميلاد، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010 ، ص96.

32 أبو ليان التوحيدي، الامتاع و المؤانسة، ص 90.

33 المرجع نفسه، ص91

34 المرجع نفسه، ص 93

35 المرجع نفسه،ص90

36 المرجع نفسه، ص 93

37 المرجع نفسه، ص99

38 المرجع نفسه، ص 98

39 المرجع نفسه، ص100

40 المرجع نفسه، ص97

41 المرجع نفسه، ص98

42 المرجع نفسه، ص100

43 المرجع نفسه، ص92.

44 ا خديجة محفوظ محمد الشنقيطي ، المنحى التداولي في التراث اللغوي الأمر والاستفهام نموذجين،ص188.

45- المرجع نفسه، ص91

46 أبو البقاء بن يعيش الموصلي ، شرح المفصل للزمخشري، ، تحقيق إيميل الدين يعقوب، دار الكتب العلمية، 2001، ص108.

47 مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية فب التراث اللساني، دار الطليعة،ط1، بيروت، 2005، ص150.

48 أبو ليان التوحيدي، الامتاع و المؤانسة، ص97.

49- المرجع نفسه، ص 90.

50- المرجع نفسه، ص 99

51 - المرجع نفسه، ص 95

.*** *** ***